شخابيط

هشام نصر الدين

شخابيط

هشام نصر الدين

الطبعة الأولى ، ٢٠١٠

دار اكتب للنشر والتوزيع

القاهرة ، 10ش عبد الهادي الطحان ، المرج

موبايل : ٠١١٠٦٢٢١٠٣

E – mail : dar_oktob@gawab.com

المدير العام :

يحيى هاشم

تصميم الغلاف :

كريم آدم

رقم الإيداع : ٢٠١٠/١٤٨٣٩

I.S.B.N:978- 977- 488- 054- 4

شخابيط

هشام نصر الدين

الطبعة الأولى

٢٠١٠



دار اكتب للنشر والتوزيع



مقدمة

هناك..في تلك البقعة الخفية من عقلك.. يكمن ذلك المركز السري للذكريات و الأفكار والخواطر والمسمى بالـ " العقل الباطن" .. العديد والعديد من المواقف والمشاعر التي نمر بها منذ الطفولة .. ويحتفظ بها هذا المركز وإن نسيناها تمامًا.. فقط لتخرج أجزاء منها مشوهة أثناء النوم في أحلامنا لتُعبِّر عن الصراع الداخلي المتضارب لهذه الأفكار أو عن رغباتنا الدفينة كما يقول " سيجموند فرويد ".. أو تخرج لا شعوريًا مبهمة لا تدل على شيء ظاهر عندما تخط - غير واعٍ - بالقلم على ورقة وأنت تتحدث في الهاتف..أو سارحًا بخيالك في عالم آخر..فقط لتعبر عما بداخلك وتخرجه على شكل" شخابيط "!

◆ أنا أؤمن ـــ وبشدة ـــ بأن كل منا يحصل علـــى مـــا يستحقه في هذه الحياة .. وأن من يتخذ قراراته وحده عليه أن يتحمل نتيجة اختياراته وتصرفاته وحده .. بـــشرط أن يظـــل متماسكًا مبتسمًا دون أن يهوي أرضًا حـــتى يتلقـــى آخـــر صفعة... لذا لا أتعجب ولا أتخلى عن ابتسامتي وأحـــاول ألا أهوي حين أتلقى الصفعات ممن وثقت يومًا بهم .. بل ألوم قلة ذكائي وحماقتي التي جعلتني يومًا ما أثق بمثل هؤلاء .. !

***

◆ من المؤلم جدًا أن يفقد من حولك ثقتـــهم و إيمـــانهم بك.. والأشد ألمًا حين يفعل ذلك أقرب الناس إليك وأنت في أمس الحاجة إلى ثقتهم .. حينها تشعر بأن الجميع اتفق على أن يسلبوك ثقتك بنفسك بعد أن فقدوا هم ثقتهم بك ثم يلقـــوك أرضًا ليخبروك كم أنت فاشل عديم النفع ويـنـــصرفوا بمنتـــهى الهدوء .. وكأن هذه المرارة وتلك الغصة اللعينة في حلقـــك لا تكفي .. بل يتوجب عليك أن تتنبه حينها إلى أن منَ ســـلب ثقتك بنفسك هو من اعتقدت يومًا أنه أول من يعيدها لك إذا فقدتها ! حقا أشعر بالحسد حقًا تجاه من يواجه كل هـــذا ولا

ينجح أحد في إسقاطه أرضًا بل ويكتفي بإخراج ثقة جديدة من جيبه ليرتديها بمنتهى البساطة .. !

***

◆ أنا أتمنى - وبشدة - حين أتعامل مع بعض الأشخاص يوميًا .. لو استطعت أن أضع مسدسًا في فم أحدهم ثم أنسف دماغه وأحتفظ بمقلتيه على سبيل الذكرى!.. للأسف هذا النوع من الترف غير متاح لي.. فجمعيات الرفق بالحيوان لا تتهاون في حالات اختفاء بهيمة في ظروف غامضة !!

***

◆ لا يتطلب الأمر الكثير من العناء لتصبح " وغدًا " في هذه الدنيا .. فقط يكفيك أن تستسلم لضغوط الحياة أو ترهقك جراح الخيانة والغدر والمصاعب .. فتنتظر ليلة مقمرة لتقف تحت القمر تعوي وأنت تتحول لأحد " هؤلاء " .. ثم تبرز مخالبك وتتأملها بفخر فقط لتنشبها في شخص آخر لم يستسلم بعد .. إن كنت - مثلي - من الطراز الأخير تعس الحظ .. ولازلت تحاول أن تمر وسط كل هذه المخالب - المتكاثرة يومًا بعد يوم - وتتماسك وتقاوم جروحك النازفة محتفظًا ولو بجزء من فطرتك البريئة دون أن تنظر إلى القمر أو

تهوي أرضًا .. أرجوك تماسك .. نحن ننقرض !! الآن فقط أعلم شعور الديناصورات قبل ٦٥ مليون عامًا !!

***

◆ الأصدقاء الحقيقيون ليسوا كائنات خرافية نراها في الأفلام ونقرأ عنها في الروايات فقط ! .. هم متواجدون حولنا ولكنهم كالأشجار .. ربما احتاجوا سنوات أو عقودًا ليمدوا جذورهم في تربتك .. الخطأ - والذي نرتكبه عادة - حين نجتزهم من حياتنا مع أول فصل خريف عندما يخبو بريقهم أو تصادفهم ظروف سيئة .. أو حين نختبر صلابتهم مبكرًا قبل أن يكملوا مد جذورهم ..

***

◆ أنا أضحك - وبشدة - عندما يتكرر ذلك الموقف الذي يحدث يوميًا في أي "ميكروباص" يحترم نفسه.. صوت أنثوي يأتي من مكان ما : على جنب يا سطى .. على جنب ياسطى .. صوتها على حافة البكاء وهي تتوسل : أبوس إيديك على جنب ياسطى .. ثم الصوت الرجولي العالي القادم من المجهول : على جنب ياسطى .. فيكف السائق عن التظاهر بالطرش ويوقف الميكروباص في أبعد مكان ممكن .. ثم يبصق من النافذة المجاورة فيصيب أحد المارة !.. وهو يغمغم بشيء ما

عن قلة أدب الناس التي لا تسكن في آخر الخط مما يعطله ويجعل " عباس " - الله يحرقه - يعمل " طلعات " أكتر منه .. وعن العيال الفرافير الي بتضحك في الميكروباصات .. فأبتلع ضحكاتي بعد أن أرى نظراته في المرآة .. مش كلهم مسجلين خطر برضه ؟!!

***

◆ أكره - وبشدة - عندما تحاول المرأة أن تبدو جميلة .. ففي الغالب لا تبوء محاولاتها هذه إلا بالفشل الذريع ولا تنجح إلا في التحول إلى ما يشبه " عروسة المولد " أو كأنها كائن أسطوري سقط رأسه سهوًا في طبق " نشا " ! وأكره حينما تحسب كل حركة من حركاتها مئة مرة قبل أن تفعلها .. لتتحول براءة الطفولة بها إلى بلاهة بلا أدنى مبالغة .. ويتحول جمال تلقائيتها إلى قبح تصنعها وزيفها .. لا أدري لماذا لا تكتفي بأن تكون " هي " فقط كما خلقت على طبيعتها .. يبدو أن هناك قناعة ما منتشرة بين الفتيات بأن " الموكوس " الذي سيتجوزها لابد أن يراها " على سنجة عشرة " .. ربما كانت وجهة نظر صحيحة .. لكنني أشفق حقًا عليه عندما يستيقظ يوم الـ "الصباحية " في هلع ليفاجأ بـ " شيتا " تشخر بجواره !

◆ أتعجب - وبشدة - من المناقشات والندوات والحوارات الطويلة التي تنظمها جمعيات لها وزنها مثل " جمعية المرأة المتوحشة " عن المساواة بين الرجل والمرأة .. فأتوقف لأتساءل.."طب ما ربنا كان خلقنا كلنا رجالة وخلاص؟؟ ".. بالتأكيد يوجد أسباب وحكم أخرى من اختلاف الرجل عن المرأة غير الطبيعة التشريحية اللازمة للتزاوج والإنجاب ..لا بد من وجود حكمة جلية وراء خلق الرقة والضعف والاحتياج في المرأة .. والشدة والقوة والاحتواء في الرجل .. فمنذ أيام الإنسان الأولى على الأرض .. و الرجل يخرج منكوش الشعر ليصطاد أرنبين ويعود بهم إلى " الولية " منكوشة الشعر أيضًا لتطبخ له " السم الهاري " كالمعتاد وتهتم بالمنزل وبالأطفال .. كلاهما منكوش الشعر كما لاحظت لكن كل منهما يبرع في دوره المحدد الذي لو تبادلاه لاختل التوازن الكوني .. لما ماما تطلع تصطاد الأرنبين .. بابا هيرضع العيال مثلا ؟؟ .. أنا مقتنع بأن فكرة هذه المقولة المتعلقة بالمساواة هي أسلوب آخر من أساليب المراوغة العديدة لدى المرأة .. طريقة للحصول على المزيد من المميزات .. فقط حينما يتعلق الأمر بحمل متطلبات البيت من السوبر ماركت أو تغيير الأنبوبة أو إصلاح ماسورة الحوض نسمع الجملة الخالدة .. " مش إنتا الراجل " !!

◆ شاهدت مؤخرًا مقطع يصور رجل يقدم خاتم الزواج لحبيبته من وسط مقاعد الجماهير بمباراة كرة سلة بأمريكا .. من الواضح أنه خطط كثيرًا للأمر .. ففي فترة الراحة بين الأشواط .. انتقلت كاميرا الملعب إلى مقعده هو وحبيبته لتنقل صورهم على الشاشة الكبيرة في الأعلى أمام الآلاف من الحضور والملايين من الشاهدين .. ثم نزل من مكانه ليستند إلى ركبته ويقدم لها الخاتم على طريقة الأفلام الرومانسية .. ويهلل الناس وهم يصفقون في سعادة وتكتم النساء حول الفتاة أنفاسهن غير مصدقات ..كل هذا جميل لو قبلت الخاتم - وهو الذي تتوقعه للوهلة الأولى عندما تشاهد الموقف - .. لو رفضته لنعتها البعض بقسوة القلب ولشتموها علنًا ولتفهمت أنا موقفها وألقيت باللوم على الأحمق الذي وضع نفسه في هذا الموقف قبل أن يتأكد من مشاعرها تجاهه أو موافقتها على الزواج منه .. العجيب هنا ليس في أنها اختارت القرار الثاني.. بل في أنها لم تكتفي بأن تحطم قلبه أمام الآلاف من المشاهدين..بل وجهت له صفعة على خده لتضيف إلى جراحه المزيد من الإهانة علنًا !! ثم انصرفت تاركة الرجل خلفها يحدق فيمن حوله في ذهول أقرب إلى البلاهة ثم يسقط على الكرسي يبكي !!!!! لا أعلم حقًا ضرورة هذا التصرف أو هذه الصفعة أو الإهانة العلنية .. بالطبع لها مطلق الحق في اختيار القرار

سواء بالقبول أو الرفض وليس لأحد أن يناقشها أو يلومها عليه.. وكان مجرد الرفض يحدث من الضرر النفسي ما فيه الكفاية وعلى الرغم من هذا أصرت على أن توجه صفعة لكرامته على الملأ كنوع من الامتنان لما فعله .. ما أعلمه حقًا أننا لن نسمع أي جمعية تنادي بالمساواة بين الرجل والمرأة في هذا الموقف .. أو تبرر تصرفه لو رد لها الصفعة بلكمة أطارت صف أسنانها الأمامي !! .. هنا لابد من أن يبتلع الإهانة في صمت .. وعليه ألا يرد هذه الصفعة لأنه هو الرجل وهي المرأة.. لو كنت أجلس بجواره حينها ونظر إلي في ذهول وتساؤل .. لأجبته فورًا .. " مش إنتا الراجل " !

***

◆ " مفيش رجالة بتعيط " .. كلام منطقي وسليم .. من أعطى الحق لهذه المخلوقات المتحجرة عديمة الإحساس والمسماه " رجالة " بذرف الدموع ؟؟ هذا الحق مكتسب للتماسيح وللنساء فقط .. وأكبر ما يدل على ذلك استدلال الطبيب على نوع المولود فور ولادته بأن يشقلبه " هوبّه " رأسًا على عقب ويعلقه من قدميه .. فإن بكى كانت أنثى ووضع علامة " صح " في الخانة الخالية أمام عبارة " مسموح له بالبكاء " .. وإن نظر له بشراسة ثم بصق في وجهه كان ذكر

لا يحق له أن يُجرح - بضم الياء - أو يتألم أو يتأثر ما تبقى من حياته التي بدأت للتو .. أقترح أن يتم تركيب كاميرات مراقبة خاصة بالرؤية الليلية .. لنعلم إن كان أحد هذه المخلوقات المدعوة " رجالة " يخدعنا ليلاً ليبكي في سريره أو يتمخط في غطاءه حتى نشطب كلمة " ذكر " من بطاقته الشخصية !!

***

◆ لقد ولدت لأجد هذه المرأة أمي .. وذاك الرجل أبي.. وتلك الفتاة أختي .. والأهلي فريقي المفضل .. وبين هذه الجدران منزلي الحبيب .. وهذا المبنى العتيق هو مدرستي ثم كبرت لأتعرف على مبنى آيل للسقوط آخر هو جامعتي... لم أختر أي من هذه الأشياء وأحمد الله أنني لم أفعل .. فأنا أعلم يقينًا أن كل منها ليس الأفضل في هذا العالم من وجهة نظر أي كائن حي يفكر بعقلانية ! ..لكنني أعلم كذا أنه حينما يأتي الأمر إلى ما نحب وننتمي إليه .. نحن نعشق بـ " جنون " متخلين عن أي عقلانية .. لن يسعدني ولو لحظة أن أستبدل أبي بـ بيل جيتس .. أو أمي بـ أنجلينا جولي .. أو أختي بـ مايلي سايرس .. أو الأهلي بفريق عظيم كبرشلونة - حتى وإن كان الأول " اتروّق " برباعية لا تُنسى من الأخير!- .. أنا

أحب بل وأعشق كل منهم كما هو .. لذاتهم .. لأنني جــزء منهم والعكس ..ولأنهم الأفضل من وجهة نظري أنــا وهــذا يكفي .. لم يغترب بيل جيتس عن أهله وبلده ليعمل بالساعات من أجلي .. ولم تسهر أنجلينا جولي ليلا لتلف " حلــة " ورق عنب لأنني أحبه .. ولن يبالي " ميسي " بجمهور الأهلي كمــا يفعل محمد أبو تريكة .. فقط أشعر بالأسى حين أرى الجميــع يتصرف بهذا المنطق – وإن لم يدركه – دون أن يفكر في بلده أو يحبها وينتمي إليها بهذه الطريقة ! يعني جات عنــد مــصر وبقت إيطاليا وكندا أحلى ؟؟

***

◆ يومًا بعد يوم أتعلم من هذه الحياة الكثير .. ولعل أهم ما تعلمته أن هذه الدنيا حقًا " مش مستاهلة " ..أحزان الماضي هي دعابات اليوم ! .. فقط تتذكر ذلك الموقف الذي حزنت فيه وربما بكيت بحرقة حينها .. فتنفجر ضاحكًا ومتعجبًــا .. فقط هي الدنيا كما كانت منذ قديم الأزل .. بسماجتها وثقل ظلها ومحاولاتها المستمرة واللانهائية لاستفزازك .. ثم إخــراج لسانها لك لتتركك دامع العينين وتذهب للبحث عــن غــيرك لتقهره !

مؤخرًا تعلمت ألا أدعها تسعد بهذا الانتصار أو تظفر به .. أو على الأقل أن أحاول .. ربما أفشل كثيرًا .. ولكن النتائج تستحق المحاولة حقًا .. لا توجد لذة تضاهي رؤية خيبة الأمل في عيني هذه الدنيا !

فقط عليك بأن تثق وتؤمن بربك أولاً .. ثم بنفسك ثانيًا .. حينها تعلم أن المصائب - ومهما حاولت الدنيا الإنكار - لا تخرج عن نوع من اثنين .. ومعرفة أي من النوعين تعاني لا يحتاج إلا إلى جلسة صادقة مع نفسك ..

فالأول : إما أنك تحصل فعلا على ما تستحقه .. وأن هذا بالضبط نتيجة أفعالك المستحقة .. ومجرد مصارحة نفسك بذلك يكفي لتشعر بالندم ما فيه الكفاية إن وجهته بالشكل المناسب .. ليس بالبكاء على اللبن المسكوب أو تذكر ما كان سيحدث " لو " لم أفعل كذا .. أو فعلت كذا .. بل بتحويل هذا الندم إلى طاقة ونية لإصلاح هذا الخطأ دون الالتفات أو الأخذ بكلام الأشخاص والأدلة التي تثبت عدم مقدرتك على ذلك .. أنت وحدك من يستطيع أن يقرر ويفعل !

الثاني : ما تعانيه هو ابتلاء أو امتحان من الله - عز وجل - ليجازيك به أحسن الجزاء أو خير مخبأ لا تعلمه .. وفي كلا الحالتين مجرد يقينك ومعرفتك بذلك يكفيك ويجعلك لا تحزن ولو للحظة على ما أصابك..

حكى لي أحد أصدقائي يومًا عن جاره الذي أمسك بكلبه وجعل صديقي ينظر في عينه بثبات وتحدي حتى خفض الكلب عينيه بل وتخلى عن عادته بالنباح كلما رأى صديقي .. بمعنى آخر " كسر عينه ! " .. أرى أن هذه الدنيا ما هي إلا كلب آخر " وبلدي كمان " لكنه شرس حقًا !!! ..

أسير ..

أعبر بوابة تلك الحديقة..

أرى الفرحة هنا وهناك .. أرى الأطفال يمتلئون سعادة ..

أتمشى الهوينى بابتسامة هادئة على شفتي ..

أتوقف قليلاً .. أشتري بعض المثلجات وأنقد البائع ثمنها ..

و ..

" انتبه !! "

انطلقت تلك الصيحة من خلفي ..

ولأنها منخفضة .. ظننت أنها من طفل مــا .. فاســتدرت بابتسامة لم تلبث أن اختفت حين رأيته ..

كالمسجون .. يجلس قعيد هذا الكرسي اللعين ..

التقت أعيننا ..

لم أستطع أن أفلت من نظراته أو أمنع نفسي مــن النظــر إليه..

ودار بيننا حوار .. بالأعين .. !

قالت لي عيناه بنظرة حزينة مفعمة بالمرارة :

-" إلام تنظر ؟! هل تشفق علي إلى هذا الحد ؟!! "

أجابتها عيناي في سرعة :

-" لا .. أبدًا .. ولكن .... "

لم تجد عيناي ما تقوله فتابعت عيناه :

-" صدقني .. هذه النظرة المشفقة تقتلني .. تجعلني أشعر أنني عاجز بحق .. أوكأنني مخلوق من كوكب آخر " ..

-" أنا آسف .. صدقني لم أقصد هذا أبدًا " ..

يتابع في لهجة من اعتاد الأمر :

-" لا عليك .. أتعلم ؟! "

-" ماذا ؟! "

-" كم تمنيت أن أمشي .. أجري .. كما يفعل الجميع من حولي .. كم تمنيت أن أكون أعمى .. كي لا أرى نظراتكم ولمزاتكم .. سخريتكم وإشفاقكم .. تمنيت أن أعيش سليمًا معافًا ولو ليوم واحد .. تمنيت لو أسير لو مترًا واحدًا .. ولا أحد منكم يشعر بي !! "

لم أجد ما أجيب عينه به .. فطال الـــصمت لفتــرة .. ثم أنقذني من هذا الموقف الملمس البارد للمثلجات التي أصـــبحت أقرب إلى العصير على يدي !

فألقيت نظرة وداعية أخيرة على عينيه و ...

استيقظت من نومي فجأة ! .. لم يكن هنـــاك حديقـــة أو مثلجات أو قعيد ..

كانت النافذة مفتوحة .. والبرد يلتهم يدي التهامًا ..

وعلى ضوء القمر المتسلل من النافذة رأيت ذلك البغيض ..

الكرسي المتحرك الخاص بي !!

لقد كنت أستطيع أن أمشي في الحلم .. أن أقــف علـــى قدمي.. أما على أرض الواقع .. فلا !!

ـــ حان موعد تنفيذ الحكم ! ـــ

فجأة...

ارتطم رأسي بالسقف...

و استيقظت..

إحساسي بالزمان والمكان كان معدومًا...وحتى بنفسي..

لدرجة أنني استغرقت خمسة دقائق كاملة لأستوعب من أنا...

على ما يبدو أننا الآن بعد شروق الشمس مباشرة...

وبقي السؤال الأهم... أين أنا ؟

بالملاحظة تدرك أنني الآن داخل حافلة تسير نحو وجهة لا يعلمها إلا سائق الحافلة البدين...

حاولت أن أتحرك..إلا أنني انتبهت إلى ذلك القيد الذي يربط معصم يدي اليمنى بثقل يتدلى بين قدمي...

وجال بمخيلتي خاطر غريب..

هل أنا مسجون ؟؟

هل أتوجه الآن إلى السجن ؟؟

أم إلى المحكمة ؟؟

لست أذكر أنني ارتكبت أية جريمة يعاقب عليها القـــانون سوى شد ذيل قطنا البائس...

جربت أن أستفسر ممن حولي إلا أني وجدهم جميعا يغطون في نوم عميق وهم مقيدون بمثل قيدي و ...

صدمة أخرى بالسقف...

تجاهلتها هذه المرة وعاودت اعتصار مخــي بحثًــا عــن أي شيء..

لكنني لم أتذكر..آخر ما أذكره أن ليلة البارحــة كانــت سعيدة جدًا... و لم يكن يشوبها أي شيء..لقد نمت واستيقظت لأجد نفسي هنا..

هل أصبح القانون يعاقب على مضايقة القطط ؟؟

قطع حبل تفكيري تخفيف السائق لــسرعة البــاص وهــو ينحرف يمينا..ثم يتجه نحو مبنى يبدو عليه أنه إمــا ســجنًا أو محكمة ما أو...

صدمة ثالثة ولكن هذه المرة في الكرسي الذي أمامي بعد أن توقف السائق بحركة حادة...

((لقد وصلنا .. انزلوا..))

انطلق صوته الأجش لأول مرة منذ ركبنـــا هـــذه العلبـــة المشئومة يأمرنا بمغادرة الحافلة....

كنت أول مَن نزل مِنَ الحافلة..فوقفت أتطلـــع إلى المــــبنى الذي أمامي وأنا أرفع الثقل لألقي به خلف ظهــــري وأجعــــل سلسلته على كتفي و...

مهلاً...

مكتوب على هذا المبنى (مدرسة) !!

وهذا الثقل يبدو لي ـــــ ولأول مرة ــــــــ أنـــه حقيبـــة مدرسية !!

وهنا انتبهت للحقيقة المفزعة...

إنه أول يوم في العام الدراسي..

وقد حان موعد تنفيذ الحكم !!

.. لست وحشًا .. ولن أكون !! ..

" سيدي .. لم أعد أستطيع البقاء هنا أكثر مـــن هـــذا .. أرجوك كلم مستر " إيفرايم " كي .. "

نطقت هذه العبارة ــ والتي بُترت من منابتها ــ وأنا ألتفت إلى العقيد " ديفيد " الجالس جواري على مقعد الراكب حـــين رأيت تلك النظرة الشغوف في عينيه .. فالتفت لأرى ما ينظر إليه ..

كان هناك فتيان نحيلان .. يبدو من هيئتها أنها فلسطينيان.. أحدهما تجاوز العاشرة ببضعة أعوام .. بينما الثاني لم يفعل ..

انتبهت في تلك اللحظة إلى ذلك الشيء الكـــروي الـــذي ألصقاه بأسفل شاحنة إسرائيلية تقف على جانب الطريق .. لم أفهم ما يحدث إلى أن انفجرت تلك السيارة وانطلق الفتيـــان يسابقان الريح ..

ودون انتظار أمر مباشر من العقيد انطلقت خلفهما بأقصى سرعة تسمح بها سيارة الجيش التي نركبها ..

في ذهني اختلطت الأسئلة كالموج ..

تُرى .. لماذا يصر أولائك على هذه المقاومة العنيفة ؟!

لماذا لم يقتنعوا بكون هذه الأرض هي ملك لنا من الأساس؟!

هل هي حقًا ملك لنا ؟! كما يحاول قادتنا إقناعنا على الدوام ؟!! أم أننا مجرد مغتصبون لهذه الأرض (كما يقول عقلي) ؟!!

وحتى إن كنا كذلك .. لقد طُرِدنا منها بأمر الرب .. أليس ذلك كافيًا لنتركها إلى أبد الدهر !!

ألم يتعب قومي أو يتعب هؤلاء الفلسطينيون من نصف قرن من القتال ؟!!

دعك من كل هذا .. ما دخل النساء والشيوخ والأطفال بالموضوع ؟!

لو احتكمت لعقلي .. لما كنت مع هذه الجبهة ولو لحظة ..

لكن للأسف قلبي يأسرني .. ويفضل أن أبقى على هذه الضفة من النهر إن رغبت بالاحتفاظ برقبتي بين كتفي !

ما الذي أفعله ؟!!

أي حياة تلك التي أحياها ..

تبا .. أنا حقًا لا أريدها .. ليس بهذه الطريقة !!

***

قطع تسلسل أفكاري ــ مرة أخرى ــ محاصرتنا للفتيان في شارع مغلق ..

بدا عليهما التوتر الشديد .. وإن لم يبدُ ولو للحظة - ويا للعجب - ذرة خوف .. نحن نتحدث عن أطفال هنا !!! في قومي يصرخ الفتى من عمرهما هلعًا وينفجر بالبكاء إن وجد إحدى البطاطس المقلية في طبقه لونها أسود !

اقتربت بالسيارة منهما حتى حاصرتهما بين مقدمة السيارة والجدار خلفهما .. ترجل العقيد منالسيارة ..ولم تكد يدي تمتد إلى مقبض الباب لفتحه حتى حدث أغرب ما يمكن أن أتخيله..

الفتى الأكبر هوى بأقصى ما يملك من قوة بمعول كان في يده على مقدمة السيارة ..

لم أفهم - كالمعتاد - ما حدث أو الغرض من هذه الحركة إلا حين انتفخ الكيس الواقي من الصدمات من قلب المقود

مانعًا إياي من الرؤية والحركة معًا .. في نفس اللحظة التي رما فيها الأصغر النقيب بحجر في يده ..

ثم انطلق الفتيان يعدوان مرة أخـــرى وحولهمـــا طـــارت رصاصات النقيب الذي ترجل من السيارة ومسح بكمه الـــدم المتساقط من جبته ..

ودون أي مقدمات .. سقط الاثنان أرضًا دفعـــة واحـــدة كحجرين ..

ترجلنا من السيارة بعد أن تخلصت مـــن ذلـــك الكـــيس الشيطاني الأحمق .. وكان المشهد شنيعًا بحق .. الفتى الأصـــغر أردته رصاصة استقرت في مؤخرة رأسه فسقط مضرجا بدمائه راسمًا لوحة درامية بحق ..

أما عن الآخر .. فكان الخوف قد بدأ يعتريه ـــ فهو يظـــل طفل برغم كل شيء ـــ وهو يقاوم جاهدًا للوقوف على قدميه اللتان اخترقتهما الرصاصات..

نظرت إلى العقيد .. فوجدت على شفتيه أرق ابتسامة يمكن أن تُرسم على شفتين في الوجود .. وسرت قشعريرة باردة في جسدي وأنا أنظر إليه في هلع حقيقي .. إن يـــستمع بهـــذا .. وبشدة !!

حقًا يـــستمتع بـــه كأنـــه يـــستمع إلى " بتـــهوفن " أو " موتسارت".

نقلت بصري إلى تلك النجمة السداسية الزرقاء على زيـــي العسكري ..

شعور عارم بالاحتقار لهذا الكيان السادي سرى في كياني..

لتلك النجمة البغيضة ..

لإسرائيل ..

للعقيد ..

وحتى لنفسي ..

لا .. أنا لست وحشًا .. ولن أكون .. ماذا سأفعل ؟؟ حقًا لا أدري ..

***

لحظات كبيسة تلك التي مرت علي ونحن ننقل ذلك الفتى شبه حي نصف ميت إلى القبو أسفل منزلنا الآمن بتل أبيب ..

كان ملقى فاقدًا الوعي على المقعد الخلفي .. يفيق على فترات متقطعة فيحاول أن ينقض علينا بيديه .. وفي كل مرة كانت محاولاته تقابل كعب مسدس العقيد " ديفيد " ..

بين فترة وأخرى أدع الطريق يفلت من بصري لأختطف نظرة إلى الفتى .. ولأرى عينيه ..

نظرة ألم مكتومة .. دموع يحاول كبرياءه جاهدًا أن يمنعها من الانحدار على وجنتيه ..

والأصعب منهما كانت تلك النظرة التي يرمقني بها كلما لاحظني .. تلك النظرة التي زلزلت كياني وجعلتني أشعر بخوف غريب وغير منطقي من طفل في العاشرة من عمره وعلى حافة الاحتضار !

هل نظرت من قبل إلى عيني أسد مصاب أو أسير ؟! ستفهم إذًا ما أتحدث عنه هنا ..

انقطعت أفكاري – ويبدو أنها أصبحت عادة سيئة لهذه الليلة ! – بوصولنا إلى القبو ..

نزل العقيد من جانبي وفتح باب المقعد الخلفي ثم سحب الفتى خلفه من ملابسه في عنفٍ وقدميه تحفان الأرض ..

دعاني خلفه وهو يجر الفتى جرًا .. فتحججت بتغيير ذلك الكيس الواقي من الصدمات ..

والحقيقة أنني لم أرغب سوى ببضع لحظات ..

أختلي فيها بنفسي ..

أفكر مرة أخيرة ..

قبل أن أحسم قراري بأن ....

أنتحر !!!

نعم ..لقد سئمت هذه الحياة .. وهذه العيشة .. و لم أعد أتحمل المزيد من هذه الوحشية .. أنا أفقد إنسانيتي يومًا بعد الآخر ..

وتستمر هذه الليلة ..

ألن تنتهي ؟!!

***

لم أكد أخطو إلى داخل القبو حتى وجدت ما توقعته تمامًا..

كان العقيد المخبول قد أكمل رسم لوحته الفنية ..

الفتى ذو العشر سنوات – إن كنت قد نسيت أنه كذلك – مقيدًا واقفًا على عمود في منتصف المكان .. أو شبه واقف لو أردنا الدقة .. لأن قدميه اللتان اخترقهما الرصاص أصبحتا غير قادرتين على حمله ..

وبدأت عملية الاستجواب العنيفة .. لمعرفة مراكز وأماكن تجمع حركات المقاومة !

لن أذكر التفاصيل هاهنا .. فلن تكون رقيقة أبدًا .. يكفي أن أقول أن إطفاء السجائر في الجلد ونزع الأظافر لم تكن أقسى الوسائل التي استخدمها العقيد ..

لم تصدق عيناي ما أراه .. أو أذني ما أسمعه .. ولم يستطع عقلي أن يستوعب هذا المنطق المختل !! حقًا أيها الخنزير السادي عديم الإحساس أنت تتوقع من هذا الطفل أن يعرف حرفًا عما تسأله .. أم أنك تشبع رغباتك المجنونة فقط وترد

ولو جزء من كرامتك المهدورة يومًا بعد آخر على يد المقاومة..

في النهاية .. بدا أن الفتى قد انتهى تمامًا .. فقال للعقيد بصوت قادم من خارج عالم الأحياء ..

.. حســ .. حسنًا .. سأتحدث ..

نظر له العقيد بشك متسائلا عما قد يعلمه هذا الصغير .. ثم اقترب منه وهو يرسم ابتسامة واثقة على شفتيه ..

و لم يكد يدنو من الفتى حتى رفع الأخير ركبته لتستقر بـين قدمي الرجل الذي انحنى على نفسه .. ثم رفع وجهـه المحمـر غضبًا فقط ليقابل تلك البصقة الدامية من فـم الفـتى علـى وجهه..

جُن جنون الرجل تمامًا - أكثر من ذي قبل ـــ وما حدث بعد ذلك من ركلات وصفعات ولكمات مكـرر لا داعـي لذكره .. ويكفي القول أن الفتى لم يعد يشعر بكل هذا .. فقد أصبح جثة هامدة شاخصة العينين معلقة إلى العامود .. وحينها أيضًا لم يكتفي العقيد بل تابع ركله بقدميه حتى أفرغ شـحنة الغضب بداخله تمامًا ..

ثم - ليشبع المزيد من ساديته - أخرج مسدسًا من جيبه .. ورفعه نحو رأس الفتى الميت .. وقبل أن يطلق رصاصة واحدة.. كان ثقب كريه يزين مقدمة جبهته وهو ينظر في ذهـول إلى مسدسي والدخان يتصاعد من فوهته .. قبل أن يسقط أرضًـا كالشوال ..

أخرجت ورقة وقلم من جيبي .. دونت ما هو بين يـديك الآن ..

رفعت مسدسي ووضعته فوهته بفمي .. ثم ألقيت نظـــرة أخيرة على المشهد من حولي ..

و

....

***

**

*

حلم أم حقيقة ؟!!

أولج (حسام) البالغ من العمر أربعين عامًا مفتاحه في باب منزله ، ثم أداره بشيء من العنف لينفتح الباب، ولم يكد يدخل إلى منزله حتى رمى بأوراقه وحقيبته الصغيرة إلى أريكة متهالكة تقع جوار الباب...

ثم توجه إلى المطبخ حيث وجد زوجته تعد الطعام في عجلة فحياها فردت في سرعة وعادت إلى عملها الذي تقوم به كل امرأة منذ الأزل....

وتابع هو طريقه إلى الثلاجة وتناول منها جرعة ماء ، ثم عاد إلى الصالة ومنها إلى غرفته ، فدفع باها ثم اتجه إلى السرير وجلس عليه...

((ياله من يوم عصيب ، لابد أن قدماي أصبحتا في حجم قدمي الفيل))

نطق (حسام) تلك العبارة في سخط وهو ينزع حذائيه وينظر إلى قدميه المتورمتين ، ثم بدل ملابسه في سرعة وقفز في سريره...

إنه لن ينتظر الغداء...

لن ينتظر حتى يرى برنامجه المفضل على التلفاز....

لن ينتظر أي شيء ..

ثم حانت منه التفاتة إلى صورة أمه المتوفاة المعلقة - الصورة وليست أمه طبعاً - بجوار فراشه ...

مضى على ذلك أسبوعين....

لكنه لم ينساها...

لم تغب عن باله لحظة واحدة....

لكن هناك أيضا ما لم يغب عن باله ثانية واحدة.....

هناك سؤال لم يجد إجابته بعد....

هل كان ابناً عـــ....؟

خخخخخخخخخخ

غرق في تساؤلاته حتى غلبه النعاس فلم يكمـــل تـــساؤله حين...

حين رآها.... !

كأني أسمع من يسأل في ذكاء شديد: رأى من؟

أحقاً لا تعرف؟

رأى أمه طبعا!!!

* * * * * *

كان الضباب يحيط به من كل مكان،حتى الأرض التي يقف عليها كانت ضباب، وكان الظلام دامس،ولكن الظلام لم يدم، إذ انبعث من بعيد ضوء بدأ يتضخم حتى ملأ المكان كله....

ثم جاءت هي...

لم تكن كما رآها آخر مرة وهي في الثمانين من عمرها....

بل كانت كما لم يرها من قبل....

كانت حسناء لم تتجاوز الخامسة والعشرين....

لم يتعرفها في البداية، لكن شيئا بداخله جعله يشعر بها ، وهمّ أن يرتمي في أحضانها لولا أن تبين أنه لا يستطيع التحرك قيد أنملة...

((حسام))....

نطقتها في رقة وحنان...

لم يعد هناك مجال للشك...

إنها هي....

((أ...أ...أمي؟!))

نطقها في تلعثم ، ودار في فكره أن يسألها عما يحدث هنا، وعن هذا المكان، إلا أنه لم يلبث أن قطع تفكيره حين سمع صوتها الحاني:

لقد اشتقت إليك يا ولدي... -

اختلج قلبه في عنف وهو يقول:

- ليس أكثر مني ياأمي.....

ثم بدا وكأنه تذكر شيئا هامًّا فقال في صوت مبحوح:

- أمي.... هل كنت عاق؟

- لم تقول ذلك؟ لقد كنت دائما راضية عنك...

- لقد تركتك منذ كنت في الخامسة والعشرين من عمري....

- لكنك كنت مضطرًا ، ثم أنك كنت دائما في بالي لم تغب عنه أبدا ، وكنت دائم السؤال علي....

- لكني تركتك من أجل تأمين مستقبل أولادي،فأي اضطرار في ذلك؟

- هوّن عليك يا بني ، هذه هي الدنيا ، وحين كنت في مثل عمرك تركت أبي وأمي أيضاً....

قال تعالى: ((إنما أموالكم وأولادكم فتنة...))

- لا يا أمي لقد تركتك وذهبت للعيش في بلاد الغربة....

بلاد يطلقون علينا فيها لقب (وافدين) وأحيانا أخرى (أجانب)....

لكن نحن حقيقةً في غربة....

ثم أخبريني يا أمي، من كان محتاج أكثر؟!

أأنت يا أمي؟

أم مستقبل أولادي؟

أرأيت يا أمي؟؟

أرأيت أني أستحق بجدارة لقب (عاق)؟...

بدأت الدموع تذرف من عيني الأم وهي تقول:

– لماذا تقول هذا يا بني؟ ألم أقل أني راضية عنك ؟ إذا أنت لست عاقًا...

قال (حسام) في سخرية مريرة:

– صدقت يا أماه ، أنا لست عاقًا ، أنا فقط جاحد...

ازداد انهمار الدموع من عيني الأم وهي تقول:

– لا ، أنت لست كذلك....

– لا يا حانية ، لا تقولي لست بجاحد، فبالأمس علمتني أبجدية الحروف ، وقد تركتك وبين أقلامي تتراقص الكلمات كيفما أشاء ، وأنت بحاجة لي ، وأنا لا أقوى على أن أتراجع

وأحملك عندما كان يجب أن أكون بجوارك في تلــك البــؤرة المظلمة من تاريخ حياتك....

- لماذا تفعل هذا بنفسك يا ولدي؟!

تابع حسام كأنه لم يسمعها:

- نعم... كنت شمعة أضــاءت طريقي،فلمــا انطفــأت صحوت من غفلتي لأبحث عن عود ثقاب ، ولكن هيهات....

انتبه في تلك اللحظة أن الضوء بدأ يخفت وأمه بدأت تبتعد رويدا رويدا ، فصرخ في هلع:

- إلى أين يا أماه؟!

- لقد انتهى اللقاء

حاول التحرك مرة أخرى إلا أنــه لم يــستطع فقــال في خفوت:

- سوف أراك مرة أخرى، أليس كذلك؟

قالت الأم في لهجة لم تستطع إقناعها هي نفسها:

- ربما...

- أمي...

- ماذا هناك؟

- ترى يا أمي..

هل صفحتي عني...

عفوت عن خطأي...

أم أنني سأظل في تقصيري تجاهك نادما ما حييت؟

- سبق أن أخبرتك يا بني....

لقد كنت راضية عنك في حياتي ولا زلت..

ازداد ابتعادها أكثر فأكثر وهي تبتسم وتلوح له بيـــدها ، فابتسم هو الآخر ولوح بيده...

وحانت منه التفاتة إلى يدي أمه...

لم تكن تلك هي يديها حين رآها أخر مرة،كانت يـــديها وهي في الثمانين من عمرها معْوجّة لا تقوى على حمل الـــدواء وكوب الماء وحتى حمل لقمة العيش للمأوى والبقاء ، بعـــد أن كان رآها في صغره تحمـــل العـــشرات والعـــشرات لأســـرة بأكملها...

بل كانت أناملها حريرية ناعمة - لا تسألني كيف عَلِم أنها حريرية مع أنه لم يلمسها، يمكنك سؤاله هو - غاية في الحسن والجمال...

انتبه هذه المرة إلا أن الضباب اختفى من حوله ، والظلام قد تبدد تماما وحل مكانه ضوء خافت يتسلل - من مصباح عجوز - عبر النافذة...

وتطلع إلى الساعة الفسفورية بجواره والتي تشير عقاربها إلى التاسعة ليلا....

لقد استغرق اللقاء - إن جاز لنا تسميته بذلك - وقتا أطول مما شعر هو به...

لكنه قد عاد بالفعل...

أما عن (عاد من أين) فهذا هو السؤال.....

***

بعد ما حدث بخمس دقائق كان (حسام) جالسا في الأريكة المتهالكة بجوار الباب يخط على ورقة:-

(أين أنت يا شمس قد دارت من حولك الكواكب كثيرا وبعد أن أنهكتي من حياة الألم والمرض والكبد ذهبتي إلى حيث تكون نهاية كل إنسان...

فهل إلى الملتقى مرة أخرى بين شمسك الساطعة وكواكب قد ضلت عن مسارها...

نعم.. دعوة واحدة منك قد كانت كافية لمنحـــي آيـــات الرضا بعد أن ظللت أنتظر السنين....

نعم.. تعلمين الكثير مما لم يعلمه الآخرين...بماذا يا ترى؟

أبفطرتك؟

أم بصدق إحساسك؟

أم بشفافية قلبك المليء بالحنين؟

كل هذا أراه اليوم نادرًا بماديات واتـــصالات وكمبيـــوتر وتكنولوجيا كثيرة لا تعرفينها حقا ، ولكن يكفي أنك كنـــت بأقصر الطرق تصلين...

تدركين...

نعم تعلمين...

نعم بصفاء نفس وبراحة ضمير تعرفين إلى أين الطريق....

آه....آه....انتقل الجسد الذي أنهكه الزمان والألم ، ولكن بقي بالقلوب كلها....

قلوب تخفق في عنف....

قلوب تقطر دموعا من دم...

وقلبي أحد هذه القلوب...

قلبي الذي يتساءل....

هل تسامحين؟

وبعفوك تعطين الأمل لمن أراد المشي على دربك؟)....

ثم أخذ الورقة واندفع خارج منزله....

وإنتبه أنه لا يدري إلى أين يذهب...

لو كان في وطنه لتوجه إلى قبر أمه ووضع الورقة عليها...

أما هنا...

فهو حقا لا يدري إلى أين يذهب...

فتطلع إلى السماء وخيل إليه أن وجه أمه يتطلع إليه وهـــي تبتسم في حنان...

ودارت في رأسه عدة تساؤلات....

هل أصابه الجنون...

إن لم يكن كذلك فأين كان منذ قليل....

وبالأحرى ماذا كان ذلك؟..

أكان نوع من الاتصال الفكري...

أم أنه صنع ذلك بنفسه في أحلامه لافتقاده أمه.....

وإن كان ذلك حلما ، فهل يوجد حلم بهذا الوضوح....

تساؤلات عدة دارت بذهنه....

وكان أهمها....

أكان ذلك (حلم أم حقيقة)؟

***

**

*

ـــــ إيه الي جابني القاهرة ــــــ

١) سلم الوصول للحلم .. عطلان !! ..

" لحظة تحول " ..

هذا ما جال بخاطري وأنا أتطلع إلى المحطـة مـن نافـذة القطار..

بالفعل هي لحظة تحول في حياتي. لحظة أتت بعـد عنـاء و تعب متواصل على مدار سنتين.. كُلّل بتفوق ونسبة عالية في شهادة الثانوية العامة .. أخيرًا أستطيع أن أحقـق حلمـي بالانتقال من محافظتي إلى القاهرة .. وها هـو ذا الحلـم قيـد التحقيق ..

بقدر ما يعز علي ترك أهلي و أمي المسنة خلفي .. غير أن الانتقال إلى العاصمة يعني الاختلاف الكلي .. يعني الحياة بمعنى الكلمة ..

ما تصلنا من أخبار عن هذه المدينة يشوق أي شـخص للذهاب إليها ..

القصور الفارهة .. المحاطة بالحدائق الخـضراء .. الفتيـات بالفساتين الإنجليزية .. الأولاد بأناقتهم و تهذيبهم ..

الأجمل ما يصلنا من أحاديث عن بنات القاهرة ..

يقال أن البنات هناك يعشقن الحب .. فلا يكاد الشخص يلقي بابتسامته على إحداهن حتى تقع في حبائل حبه ..

بمناسبة الحديث عن الابتسامة .. نسيت أن أصف لكم نفسي .. أهم ما يميزني هو لون عيني الأزرق .. و الباقي لا داعي لذكره منعًا للإحراج !!

" التذكرة يا بيه " ..

نظرت للكومسري و أنا لا أزال شاردًا و قلت :

" تذكرة إيه ؟! "

أجابني في سخرية حانقة :

" الطيارة الي حضرتك راكبها "

انتبهت هذه المرة إلى الرنة الساخرة في كلامه .. فأطلت النظر إليه مستمتعًا بحنقه الزائد قبل أن أخرج التذكرة من جيبي و أعطيه إياها ..

بالطبع لا داعي هنا لذكر بعض من الألفاظ الرقيقة التي تعمد أن تصل إلى أذني في طريق عودته لمؤخرة القطار ..

دعنا من كل هذا .. فقد بدأ القطار بالحركة ..

أشعر كأنني أركب سلم كهربائي .. مباشرة إلى هناك ..

إلى حلمي ..

***

وصلت إلى القاهرة .. تمامًا كما تخيلتها بالضبط ..

الحسناوات بالفساتين الدانتيل .. الطرق الجميلة المرصوفة .. الشباب المتزن بالملابس الرسمية ..

و ..

" سيييييييييييييييييييييييييت "

أيقظني من حلمي الجميل الصوت المفاجئ لفرامل القطار .. لا زلت إذا في القطار !!

يبدو أنني آخر من استيقظ .. قمت من مكاني - كما فعل الجميع - لأتطلع حولي .. لا توجد أي علامات تـدل علـى مصائب سوى توقف القطار و .... ماذا ؟!!

توقف القطار ؟! تبا .. هل توقفنا حقًا في منتصف المسافة بين القاهرة و محافظتي ؟! .. إن لم تكن تلك مـصيبة فمـاذا تكون ؟!

وقف الجميع في قلق بانتظار التفسير .. مظاهر التوتر بدأت تظهر على الجميع .. بكاء الأطفال .. السجائر التي انتـشرت رائحتها في القطار رغم اللوحة الكبيرة المعلقة بعدم الـسماح بذلك ..

حتى أن راكبان قاما بضرب بعضهما البعض حتى سال الدم من أحدهما على سبيل التسلية ! العجيب أن باقي الركـاب لم يجدوا أي فكرة أخرى لتمضية الوقت غير التشجيع !!!

امتلأ القطار بهتاف الركاب للفتى الذي بدا و كأنه سيكسب هذه المباراة بالاستسلام .. توقعت أن يقوم بتمزيق قميصه بعد المباراة ورميه إلينا و لكنه للأسف لم يفعل !

المهم أن المباراة انتهت .. و عاد الملل .. و معه عادت العقول للواقع .. نعم نحن في ورطة كبيرة ...

نوعًا ما !

لم يبدأ الناس بالهدوء إلا حين ظهر الكمسري - أين اختفى هذا الرجل من قبل ؟!- ليطمئن الناس إلى أن هناك عطل بسيط في القطار .. و سيتم إصلاحه في أقرب وقت .. فلا داعي للقلق ..

ترى .. لماذا لم يستخدموا تلك السماعات الضخمة المعلقة في القطار ؟! فكرت في أن أسأل الكمسري عن ذلك..إلا أنكم - كما لابد وأن لاحظتم - علاقتنا لم تكن جيدة إلى ذلك الحد..

الهدوء الحقيقي .. و تنفسات الصعداء بدأت تظهر مع بدء تحرك القطار مرة أخرى ..

حمدًا لله على انتهاء الأمر بسلام .. و الأهم على أكبر نعمة وجدناها بعد هذه المصيبة .. إزعاج الأطفال والذي دام طوال الرحلة اختفى بعد أن أرهقوا من العويل المتواصل لقرابة الساعة و النص ..

من قال إن الأطفال ملائكة ؟!

أعتقد أن ....

هل أطلت في الحديث ؟! إذن سأخرس و أعود مرة أخرى إلى نومي و أحلامي بمدينة القاهرة ..

اقتربت من الحلم ..

أخيرًا !!

***

استيقظت هذه المرة أيضًا على فرامل توقف القطار ..

قمت من كرسي غاضبًا و قد عزمت على ضـــرب ذلـــك الكمسري لا أدري لماذا !!

لم أكد أقف حتى اصطدمت به لأسقط أرضًا ..

لأول مرة ألحظ مدى ضخامة هذا الرجل ..

" فيه حاجة ياض ؟! "

بالتأكيد هذه الزمجرة كانت منه .. لا توجد أي حيوانـــات على الرحلة !!

لم أملك إلا أن أجيبه بمنتهى الشجاعة ..

" أبدًا يا باشا ..هـــــ هو..حضرتك ..إحنا هنوصل إمتى ؟! "

لم يجبني و اكتفى بنظرة احتقار و بعض الــــ " برطمة " ..

التفت حولي لأدرك أننا قد وصلنا حقًا إلى حلمي ..

حلمي ؟! لا ليس هذا .. هذا يتعدى أشد كوابيسي .. وبمراحل !!

سألت أحد الركاب أين نحن و أنا أوشك على البكاء ؟! فاكتفى بضرب كف بكف و بنظرة الدهشة على عينيه و هو يقول :

" لا حول و لا قوة إلا بالله .. خد يابني "

تناولت الجنيه من يده في ذهول .. ثم أفقت فصرخت فيه بنبرة حادة :

" يا عم أنا مش بشحت ؟! ولا مجنون .. إحنا فيين ؟!! "

نظر إلى مرة أخرى في دهشة :

" في القاهرة يابني .. إنتا تايه "

كان دوري هذه المرة لأندهش و أنا أتطلع حولي من جديد!

يبدو أنني خدعت ..

إما أننا لسنا في القاهرة .. أو أن الصورة التي في خيالي كانت كذبة كبيرة !

تركت الرجل خلفي يضرب كفًا بكف و نزلت من القطار مذهولا و أنا أتطلع حولي .. محطة قطار عادية جدًا جدًا .. لا

تختلف كثيرًا عن المحطة التي ركبت منها في محافظتي ســـوى في حجمها الكبير ..

الناس لم يكونوا بأجنحة و ملابس بيضاء و ابتسامة صافية على وجوههم ..

كأنهم هم من تركتهم خلفي في المحطة الأولى ! لم يختلـــف شيئًا ..

نفس الملابس و نفس التصرفات .. بحثت طويلا عن أجنحة تخرج من ظهر أحدهم فلم أجد ! .. أو عن الابتسامة الصافية فلم أرى سوى وجوهًا تلعن اليوم الأسود الذي جاءوا فيه إلى هذه الدنيا الكئيبة !!

أعتقد أنني خدعت .. و تعلقت بحلم ..

من سراب !!

أم أن .... ؟!

***

جريت باتجاه باب المحطة متعلقًا بأمل أخير بـــأن تكـــون العاصمة مشابهة – و لو بعض الشيء – لما رسمته في مخيلتي ..

مع سرعتي هذه لم أنتبه إلى ذلك الملاك الـــذي اصـــطدمت به..

نعم .. لم تخطئ قراءة السطر السابق .. ملاك بمعنى الكلمة.. إن كان للجمال تجسد .. فقد تجسد في هذه الفتاة.. المشكلة أنها لم تكتفي بجمال وجهها بل أصرت على كشف العديد من أجزاء جسدها مستمتعة بنظرات الرجال لها ..

بالتأكيد لو كانت هذه الفتاة من محافظتي لرُجِمَت بالشباشب ثم ضربت بالنار و علقت في ميدان عام !

لاحظت نظرات الحسد أو الاحتقار في عيون الأشخاص حولنا و هي تقول :

" الجميل مستعجل على فين ؟! "

وقفت أتطلع بها كالمجذوب لعدة ثواني قبل أن أقول :

" إذا أنا جميل تبقي إنتا إيه يا قمر ؟! "

أطلقت ضحكة مدوية من تلك التي نسمعها في الأفلام و التي تبدأ بحرف الهاء و تنتهي باستخدامها لكل حبل من أحبالها الصوتية !

ثم انصرفت و تركتني أتطلع بها لبضع دقائق قبل أهز رأسي محاولاً إسقاطها منه ..

عدت أمشي هذه المرة و أنا أتجه إلى البوابة و أنا أحادث نفسي ..

على الأقل هناك شيء من الصحة فيما وصلني ..

هذه الفتاة أعجبت بي دون حتى أن أبتسم لها .. هل أعجبت بوسامتي ؟!

مستحيل لأن هذه الأخيرة ليس لها وجود من الأساس !!

إذًا ..

قطع تفكيري هذه المرة وصولي إلى البوابة ..

للأسف آخر أمل تحطم .. العاصمة لا تختلف عن مدينتي سوى في شيء واحد .. الزحام ..

هذه المدينة مزدحمة إلى أقصى ما تتخيله !

عشة الدجاج فوق سطح منزلنا ليست أسوأ مكان يمكن أن تعيش فيه كائن حي .. وليس أكثرها تلوثًا بالتأكيد بعد ما شاهدت !

" إيه يا عم الي إنتا لابسه ده ؟! "

انطلقت تلك الجملة من ورائي و تلتها ضحكات بعض الشباب ..

التفت غاضبًا لأرى بعض الشباب الـ (روش طحن) - كما تعلمت فيما بعد - و هم يضحكون بأقصى ما يستطيعون ..

التفت عنهم فأنا لا أريد أن أبدأ أول أيامي هنا بمشكلة .. و للأسف كان هذا التصرف سيء جدًا ..

و هذا من الدروس الأخرى التي تعلمتها هنا .. لا تدر وجهك أبدًا أو تتجاهل من يحاول استفزازك .. فهذا كالضوء الأخضر بالنسبة له للاستمرار !

لم أعلم ذلك .. إلا حين سقطت أرضًا إثر دفعة من أحدهم..

يبدو أن المسكين لم يعلم من هذا الذي دفعه .. فقد قمت من مكاني كالليث و أنا أنقض عليه و .. إحم إحم ..

المهم أن الـ " عركة " انتهت سريعة .. و تعلمون أن الكثرة تغلب الشجاعة و .. لا داعي للحديث عن هذا الموضوع لأنه يضايقني !!!!!

لو راجعت يومي لوجدته يحتوي على مصائب .. ليس أكثر و لا أقل !

القطار تعطل ..

و حلمي تحطم ..

تضاربت مع إخوة ليسوا من أصحاب اليد الخفيفة أبدًا !!

و ..

أين حافظة نقودي ؟! بحثت طويلاً فلم أجـــدها .. أيـــن هي؟!

آآآآآآآآآآآآه .. تلك الفتاة في محطة القطار ..

الآن فهمت ..

يبدو أن البداية ليست مشجعة ..

أبدًا !!!!!!

***

**

*

٢) حاجات تحير ! .. و بداية تغير ! ..

أسير في شوارع القاهرة الكبرى ..

حقًا أشعر و كأن هذه المدينة تبتلعني .. أنا ابن الريف الذي لم أعتد على هذا الضجيج أو هذا الزحام أو هذه النسبة من التلوث ..

المشكلة الكبرى كانت في أنني أصبحت لا أحمل في جيبي قرشًا واحدًا بعد أن قامت تلك الـ (.........) بنشلي في محطة القطار ..

أي سأذهب الآن ..

خطرت لي فكرة مجنونة بعض الشيء ..

لماذا لا أوقف واحدة من سيارات الأجرة و أخبر صاحبها بقصتي .. عله يقبل و يوصلني إلى فندق رخيص يقبل موظف الاستقبال به أن يدعني أسكن بإحدى غرفه دون مقابل هو الآخر .. لم أقتنع بهذه الفكرة ولكنني استطعت أن أحشرها حشرًا في عقلي وأقنعه بتنفيذها ..

و كالمعتاد كانت فكرة سيئة - كما هو الحال منذ وصلت هنا - و لم أقتنع بذلك إلا حين تركني السائق التاسع و هو

يطلق أرق الألفاظ الغير مسموح بذكرها هنا..(لا تحزن علي فقد اعتدت ذلك من أيام الكمسري) !

لم تعد بي من الحماسة ما يدفعني لإيقاف سيارة أجرة عاشرة .. إلا أنها - و يا للعجب - توقفت من نفسها ليطل منها سائق مسن مريح الملامح ليقول :

" مالك يا بني .. فيه حاجة ؟! "

" أبدًا حضرتك .. أنا من محافظة (.........) .. اتنشلت محفظتي في محطة القطر .. و معييش فلوس أوصل بيها لأي مكان أسكن فيه ! "

نظر لي الرجل بدهشة كبيرة .. يبدو أنه لم يعتد على هذا الكلام المهذب بزيادة من أبناء جيلي .. فقال :

" طيب اركب يا ابني أما أوصلك أنا "

" أنا مش عارف أشكرك إزاي .. بس أنا بقولك قبل ما أركب .. أنا معييش مليم واحد ! "

ضحك بصفاء و هو يقول :

" اركب بس .. و أنا هبقى أشوف أي حاجة معاك و أقلبها "

العجيب أن جملته هذه على الرغم من نبرة المزاح الواضحة فيها .. إلا أنها أعادت إلي ذكريات قريبة مع تلك الفتاة في

المحطة .. فلم تنجح كل محاولات الرجل لفصلي عن حقيبتي التي تشبثت بها بأطرافي الأربعة !!

" على فين العزم ؟! "

" أي حتة أسكن فيها .. بس تكون رخيصة لأني مش عارف هلاقي بسرعة شغل يناسب جامعتي و إلا لأ .. "

بدت عليه أمارات التفكير للحظات قبل أن ينحرف بالسيارة باتجاه شارع جانبي .. و هو يقول بلهجة من حسم أمره :

" مفيش غير أوضة (غرفة) عمك حسن بناوناو "

" بناوناو ؟! "

ضحك مرة أخرى قبل أن يقول ..

" خلي بالك لأنه صاحب العمارة الي هتسكن فيها .. و هو عصبي جدًا .. و بيتضايق أوي من حتة بناوناو دي "

" بناوناو بناوناو .. المهم أسكن "

كان هذا الرجل هو أول شيء جيد صادفني منذ وصولي إلى العاصمة .. هل يكون فاتحة سعد علي ؟!

لا أعتقد ! .. لست متشائمًا .. لكني شربت من هذه المدينة الجرعة الكافية للتوقف عن التفائل !

بعد رؤيتي للعم حسن هذا و غرفته المشؤومة الواقعة فـــوق سطح العمارة .. ظننت أن الأول هو " أبو رجل مـــسلوخة " الذي كانوا يخيفونني به صغيرًا .. و الثانية هي غرفة الفئـــران بالتأكيد !

الجملة الأخيرة تحديدًا جاءت صادقة لأبعد ممـــا تتخيـــل .. فعدد الفئران في الغرفة مهـــول لا يقـــل عـــن الــــ ١٠٠ أو الـــ ٢٠٠.. يا إلهي هذه مستعمرة بحق !

لو سكن " أرخميدس " هذه الغرفة لخرج منها يومًا صائحًا: وجدتها .. وجدتها .. ويكتشف بالطبع قانون الطفـــو عنـــدما يستنتج أن وزنه أصبح أخف عندما حملته الفئران وجرت بـــه بين أركان الغرفة !

المفارقة هنا أن صاحب العمارة اسمه " بناوناو " و مع هـــذا يسمح للفئران بالتواجد لديه !

كما تعلم لم يكن لدي العديد من الخيارات لذا قبلت الغرفة على أن أدفع إيجارها الزهيد - والذي لا تستحقه في الأساس - على بداية الشهر المقبل ..

ودّعني سائق سيارة الأجرة - و قد علمت أن اسمـــه عـــم " سعيد " - على الرغم من كل محاولتي لإقناعه بعدم تركـــي وحيدًا مع الأخ " بناوناو " هذا !!

نسيت كل هذا على الفور و انشغلت بمعدتي التي أصبحت تصرخ احتجاجًا مطالبةً ببعض الطعام .. الشخص الذي كـان أو من أطلق تعبير " عصافير بطني بتصاوصاو " هـو عبقـري بحق.. لكنه لم يذكر أنها تنقر كذلك !

بعد وجبة سريعة لا تسمن و لا تغني من جوع مما كنـت أحمله في حقائبي من طعام نزلت إلى القهوة التي يتربـع علـى عرشها السيد " بناوناو " فقلت له :

" هو حضرتك أنا اتقــــ .. "

" إنتا مين ياض ؟! "

" إحم .. أنا الساكن الجديد .. الي أخدت الأوضة فـ... "

" مممممم .. عاااااااه .. جرررررر "

ثم بصق ــ بمهارة شديدة ــ عبر الشارع وأكمل ..

" طيب طيب .. قول عايز إيه و اخلص "

ابتلعت ريقي بصوت مسموع قبل أن أقول :

" هو ...... حضرتك .. أنا يعني اتقلبـت في محفظـتي .. وعايز شغل .. ملقيش عندك شغل ؟! "

بصق للمرة الثانية .. فتعدت سابقتها هـذه المـرة بعـد سنتيمترات ..

" متلقيش "

" طيب معندكش أي حاجة ممكن أساعد فيها ؟! "

" معنديش "

" أنا شاطر جدًا ..وممكن أساعد في تنظيف القهوة وكده "

" مفيش "

" طيب أقولك على حاجة .. هـــــ "

" متقليش " !

ثم بصق مرة أخرى معلنًا انتهاء المحادثة و محاولا كسر رقمه القياسي .. لكنه لم ينجح فقلب شفتيه في امتعاض ..

كما ترون .. التفاهم مع هذا الرجل المغرم بحرفي الـــــ " م " و " ش " مستحيل تمامًا .. يجب أن أبحث عن عمل ما في أي مكان آخر ..

***

حقيقة جديدة أدركتها هنا ..

فرص العمل ليست بتلك السهولة أبدًا أبدًا أبدًا ..

خاصة لحاملي شهادة الثانوية فقط أمثالي ..

تبقى على بدء الدراسة الجامعية أقل من شـــهر .. و إن لم أستطع توفير مهنة ما في غضون تلك الفترة ..

فالأفضل لي أن أعود من حيث أتيت ..

و ذلك ما لن أرضاه أبدًا ..

و اعتمادًا على هذه العزيمة القوية – التي لم تعد كـــذلك – بدأت البحث من مكان لآخر ..

في البداية حاولت – بمنتهى السذاجة – البحث في المكاتب الفخمة أو الفنادق ..

و بعد محاولات يائسة بائسة انتقلت إلى المحلات المتواضـــعة و المطاعم المشهورة ..

و منها إلى صالونات الحلاقة ..

ثم إلى أي قهوة تمر بطريقي ..

و كل هذا لم يجد نفعًا ..

لا أعلم ماذا أفعل ..

طبعًا الشحاذة أمر غير وارد هنا .. فقيمي و أخلاقي الـــتي تربيت عليها تمنعني من ذلك تمامًا ..

حقًا .. لا أعلم ماذا أفعل ؟!

***

" أيام جايين نعيشها .. بكل لحظة فيهـــا .. و كـــل مـــا تنتهي.. غنوتنا نبتديها ..و تدور الدنيا بينا .. و يجـــرى مهـــا يجرى .. و كل نار تطولنا .. بنخرج منها أقوى "

انطلق تلك الأغنية من تلفزيون أحد المحلات التي مـــررت بجوارها بعد رحلة العناء الطويل ..

حركت بداخلي العديد و العديد من المشاعر ..

فوجدت نفسي أستعيد حماستي شيئًا فشيئًا بعد أن فقـــدتها تمامًا ..

رفعت رأسي للسماء و أنا أقول :

" يـــاااااااااااااااااا رب .. ارزقـــني بـــــ .... اااااااااااااااااااى "

لم أكمل دعوتي لأن - بمنتهى البساطة - وجدت نفـــسي أطير من منتصف الطريق إلى الرصيف لأسقط فوقـــه بمنتـــهى العنف و كل عظمة في جسدي تحتج وبشدة !

قبل أن أفهم ما حدث كانت هناك فتاة محجبة فخمة الثياب تنحني جواري و حولها الناس و هي تقول :

" و الله مكانش قصدي .. هو الي عدى الشارع .. أصـــل أنا .. هو .... "

ثم أجهشت في بكاء حار ..

و لم يكذب الناس الخبر فبدؤوا بترويعهـــا و تخويفهـــا .. و الاطمئنان علي و هي تقول :

" أنـــــ .. أنا ممكن أدفع فلوس علاجك كلها .. ممـــ .. ممكن أدفعلك التعويض الي إنتا عايزه "

ررررررررررررررائع .. أخيرًا بعض المال ؟!

ما المشلكة لو أصبت بكدمة أو كدمتين أو ألف إذا كانت النتيجة هي الحصول على المال ؟!

و مع الظروف المحيطة بي .. و كل الأحوال العصيبة الـــتي مررت بها ..

لم أستطع منع نفسي من العودة للاستلقاء مرة أخرى علـــى الرصيف و التأوه بكل ما أوتيت من قوة ..

هنا أمسك بعض من الملتفين حولي بالفتاة .. لكي يمنعوها إن فكرت في الهروب من وسط حلقة مغلقة الإحكام ومكونة من قرابة ٢٠٠ شخص فضوليين .. مما زاد من خوفها و دفعها لإخراج كل ما معها من مال لتضعه في يدي و هي تقول :

" و الله مش معايا غير دول .. خدهم .. و لو عايز زيـــادة أنا ممكن أجيبلك .. بس أرجوك خلينا نحل الموضوع بينا .. و .. إهئ إهئ "

بدأت أشفق على هذه الفتاة حقًا !

بدأت أقف بصعوبة على قدمي و قمت بتفريق الناس مـــن حولنا ..

اعتذرت إلي الفتاة مرة أخرى و تأكدت من أنني بخير قرابة المائة مرة قبل أن تتركني ..

وقفت أعد ما في يدي من مال .. ليس بالكثير لكنه يكفي إيجارًا لتلك الغرفة لقرابة الشهرين ..

أعتقد أن الحياة في القاهرة .. ستجبرني على عدم البقاء على ما أنا عليه ..

لا يوجد لدي سوى حل وحيد للعيش ها هنا ..

أن أتغير !!

***

٣) قبل الجامعة ..

لازلت كما أنا .. ربما تناقض ذلك مع نيتي السابقة في التغير .. ولكن حقًا لا يوجد أي جديد في حياتي هنا .. أسكن تلك الغرفة المنتهية الصلاحية فوق سطح المعلم النازي / بناوناو.. أبحث عن عمل و لا أجد ..

بالمناسبة .. مهنة العمل كـ " مصدوم " من السيارات لم تجدي نفعًا على المدى الطويل ..

حاولت بعد تلك المرة أن ألقي نفسي مرة أو مرتين أمام سيارة مسرعة كي أحصل منها قوتي ..

للأسف في المرة الأولى صدمني صاحب السيارة ثم هرب .. فلم أحصل غير آلامي ..

و في الثانية لم يختلف الأمر كثيرًا .. بل كان أسوأ .. صدمني أحد فتيان الـ " بودي بيلدينج " الذي يصر على أن يخرج فخده من كم التي شيرت .. و يبدو أنه لم يكتفي بتلك الصدمة القوية التي حصلت عليها .. بل نزل من سيارته ليكمل عمل ما لم تفعله الحادثة المفتعلة مني ..

استنتجت في النهاية أن كل ما سأكسبه من هذه المهنة سأصرفه مرة أخرى على علاجي .. فعدلت عنها ..

قلت سابقًا أن لا يوجد أي شيء تغير ..

فقط أنا الذي تغيرت !!

تغيرت تغير جذري .. لم أعد ذلك الفتى الـذي ينظـر في الأرض حين يتحدث .. لم أعد أقول " حضرتك " أو "عم".. تستطيع أن تقول أنني أصبحت " وقحًا " بكل فخر !!

بعد فترة ليست بالقصيرة هنا في القاهرة ..

استنتجت أنه إما أن أكون " وقح " .. أو " أهبل " ..

و أنا اخترت الأولى !

***

خلال مسلسلي المحموم للبحث عن عمل .. خصوصًا مـع الاقتراب الشديد لموعد بدء الدراسة الجامعية ..

وجدت عملا في " سوبر ماركت " صغير بجوار العمـارة التي أسكن بها ..

صاحبه هو رجل مسن طيب جدًا يدعي عم / علي ..

يصر على معاملتي كأحد أبناءه لا أدري لماذا .. وربما بهذه المعاملة أجبرني على أن يكون الوحيد الذي أتحدث معه و أمامه بشخصيتي القديمة – أو بشخصية الـ" أهبل " لو كان ذلـك أقرب إلى ذهنك ! – ..

المرتب الذي خصصه لي لم يكن بالجيد .. لكنه كان معقول إلى حد ما ..

على الأقل يكفي أجرة الغرفة و الطعام ..

العمل مع عم / علي يبدو أكثر من رائع ...

لولا صحة المثل القائل " الحلو مبيكملش " .. !!

***

كنت في ذلك اليوم أنظم البضاعة على الرفوف في الـــسوبر ماركت حين دخل شاب إلى المكان و هو يتحدث من أنفسه على ما يبدو :

" حد ياض .. تعالا هنا "

نظرت حولي قليلاً.. قبل أن أعاود النظر إليه بمنتهى البراءة :

" أنا يا بيه ؟! "

" أيوه يا روح أمك "

أوووووووووووووه .. لقد دخل هــذا الفــتى القائمـــة السوداء لدي من أوسع أبوابها ..فغمغمت بصوت لم يسمعه ..

" أوبا .. دخلنا في منطقة أعراض "

ثم نظرت إليه مرة أخرى في استحقار وتابعت عملـــي دون أن أعيره أي اهتمام ..

" أنا مش بكلمك يا بن الـــــ (.........) !!!! "

كظم غيظه حين بدا علي كأنني لم أسمعه فالتفت وراءه بحثًا عن شخص آخر غيـــــ ..

" إنتا ياض يا &*^%@ يا بن الـــــ *$^&#* "

كانت هذه مني أنا .. إلا أنه حين التفت إلى وجدني أتـــابع عملي كما أنا ..

أصبح على حافة الجنون و هي يقول :

" إنتا هتستهبل يلا ؟! "

لم أجب هذه المرة أيضًا .. فقال :

" إنتا أطرش ياض ؟! "

" أيوه "

بدت عليه علامات الدهشة حين أجبته و أنا أخفي ابتسامتي بصعوبة فقال في غضب عارم و هو يتقدم نحوي :

" أيوه ؟! .. طب أنا هخليك أطرش بجد "

يبدو أن الأمور ستشتعل ..

و أحدنا سوف " يفرم " الآخر ..

و بما أنني لم " أفرم " أي أحد في حياتي ..

فـــــ ... يعني .. إحم إحم ..

***

لا لا .. لازلت لم أُضرب بعد .. و لازال ذلك الثور يتقدم مني ..

مع ذعري ألقيت ما بيدي - دون أعلم ما هو - باتجاهه ..

اصطدمت تلك العلبة المعدنية برأسه فتفجر منها الدم ..

وقفنا أنا و هو نتطلع إلى الدم بذعر ..

أعلم هذه المواقف جيدًا .. لا يزال في حالة ذهـــول .. لا يصدق أن هذا الدم من جسده هو ..

بعدها سينتقل إلى حالة الغضب .. و أتحول أنا إلى لحمـــة مفرومة !!

إذا مبدأ العم " نابليون " هو الصحيح هنا ..

" الهجوم خيـــــ ... "

لم تكتمل الحكمة في رأسي فقد قطعتها و أنا أهجم عليـــه قبل أن يفيق من ذهوله ..

في الحالة العادية لم يكن لدي فرصة ضده ..

إلا أنني رأيت في هذه اللحظة ما حدث لي منذ وصولي إلى هنا ..

تلك الفتاة و محفظتي ..

الشباب عند باب المحطة ..

ذلك الرجل الضخم الذي صدمني بسيارته .. ثم بجسده .. والأولى أرحم !

عم " بنونو " .. وحرفيه المقيتين " م " و " ش " ..

كومسري القطار اللعين الذي يذكرني بغراب البين وأشـــعر أنه السبب في كل ما واجهته حتى الآن !!!

انتهيت من ذكرياتي السوداء و الفتى ملقى أرضًا مــضرجًا بدماءه ..

الآن أن في ورطة حقـــــــــ .....

" إيه ده ؟! "

صيحة مترعجة انطلقت من عم / علي عند دخوله المحل ..

لحسن الحظ كان ظهري موجهًا إليه .. فوجدت الوقـــت الكافي لأرسم كل تعابير القهر و الحزن على وجهي وأنا أقول:

" حضرتك .. أنا كنت قاعد في المحل برتـــب البـــضاعة .. دخل الواد الـــــ ... إحم .. الأخ المحترم ده وقعد يـــشتم في أهلي و أنا .. إهئ إهي "

أجابني في ذهول حقيقي :

" كل ده عشان كورة يابني ؟!! وبعدين إنتا مش قلت لي إنك زملكاوي ؟! "

استغرقت عدة ثواني لأفهم علاقة كلامه بما قلته .. فمنعت نفسي بصعوبة من أن أقذفه بعلبة معدنية هو الآخر وأنا أقول في تأثر :

" يا عم علي أنا بقولك شتم في أهلي .. شتم أمي يا عم علي .. وأنا مقدرش أستحمل عليها كلمة "

ثم شرعت في بكاء مزيف و من حسن حظي أن عم / علي لم يلحظ أن بكائي كان صوت نشيج فقط بدون أية دموع !

تعاملي السابق معه جعله يصدقني بمنتهى السهولة و يطرد الفتى شر طردة من المحل والأخير يرغي ويزبد ويتوعد ..

أخيرًا بدأت أستقر ها هنا ..

عمل دائم عند أبي الثاني عم / علي ..

غرفة أستطيع تدبير إيجارها بمنتهى السهولة ..

حمدًا لله أنني بدأت أتأقلم ..

ميعاد بدء الدراسة اقترب كثيرًا ..

***

٤) مفيش فايدة !! ..

أول أيام الجامعة ..

قد يكون أصعب أيامها على الإطلاق ..

أشعر و كأنني أدخل من بوابة الجامعة إلى عالم جديد ..

المشكلة أنني لا أعلم أي شيء عنه ..

و لا أعرف أي شخص هنا ..

نظرت إلى ذلك الجدول الذي بين يدي - و الذي استلمته من يومين حين أتيت للتسجيل - لأعرف مكان أول محاضرة..

توجهت إليها مترددًا ..

كان الدكتور لم يأت بعد حين جلست في المدرجات متحاشيًا الجلوس بجوار أي شخص آخر ..

لم تطل وحدتي كثيرًا إذ جاء أحد الشبان ليجلس جواري وهو يقول متوترًا :

" أول يوم صعب مش كده ؟! "

نظرت إليه طويلاً قبل أن يقول :

" يعني "

مد يده إليه و هو يقول :

" أحمد نور الدين .. من دمياط " ..

مددت يدي أنا الآخر بسرعة لنتصافح في حـــرارة و أنـــا أقول:

" تشرفنا " ..

" إحم إحم .. "

" أيوه ؟! "

" متعرفناش باسم الكريم ؟! "

أخبرته باسمي و محافظتي قبل أن يقول :

" دي أول سنة ليك في الجامعة مش كده ؟! "

استغرقت لحظات لأستوعب السؤال ثم أجيب :

" آها .. و إنتا ؟! "

اتسعت ابتسامته في فخر قبل أن يرفع إبهامه لأعلى ويكشف عن أسنانه و هو يقول :

" ساقط سنتين في أولى "

" قشطة !! "

***

انقضى اليوم سريعًا .. لم تكن الكلية بتلك الصعوبة ..

أول يوم مشجع جدًا على الاستمرار في هذه الجامعة ..

تعرفت على " أحمد " أكثر ..

و علمت أن أبوه يمتلك مجموعة مصانع خاصة به ..

إذًا الفتى لا يعاني أي نقص في موارده اليومية كما الحال معي !

تأكد ذلك لدي حين رأيت سيارته التي وقفنا أمامها قبل أن يقول :

" أوصلك ؟! "

" لا .. شكرًا .. أنـــــ .. "

" كويس .. في طريقي .. اركب "

ابتسمت ثم ركبت معه في السيارة ..

هذا الفتى شهم حقًا .. ولا أعلم لماذا نرى أننا نستحق أصدقائنا لأننا رائعون إذا صدر منهم تصرف جيد تجاهنا .. ونرى أننا ملائكة تعيش وسط مجموعة من الأوغاد إذا تضايقنا منهم ..

هنا علمت كم أنا طيب ورائع لذلك كـافئني الله بأحمـد كصديق لي !

أقلني حتى باب السوبر ماركت الذي أعمل به ..

لاحظت نظرة الاشمئزاز من المكان في عينيه و هو يحـاول إخفاءها .. ذلك الوغد لا يعرف أن هذا المكان يعيش به ملاك طاهر الذيل هو أنا بالطبع !

أتفهم موقفه كثيرًا ..

هذا الفتى سيعود الآن للمترل ليأخذ " شاور " سـاخن ثم يأكل " اسكالوب بانيه " قبل أن يـسبح في حمـام الـسباحة الخاص به !!

المهم أن علاقتي به توطدت كثيرًا منذ اليوم الأول ..

حتى الآن يبدو أن يومي أكثر من جيد ..

حقًا .. لا أصدق ذلك ..

منذ أتيت إلى هنا لم يمر علي يوم كامل دون مصيبة ..

فهل يكون هذا اليوم هـــ ...

" الحقونيييييييييييييي "

قطع أفكاري تلك الصرخة الأنثوية المدوية ..

بدأنا !!

***

الكارثة هذه المرة كانت أعنف مما أستطيع تحمله ..

عم / علي الذي اتخذته أبًا لي في القاهرة .. توفي بذبحة صدرية حادة !

لا أدري لماذا شعرت و كأن الدنيا تمد لسانها لي ..

حسنًا حسنًا .. أنا أعلن استسلامي .. أرفع الراية البيضاء أيتها الدنيا ..

بكيت عليه بحرارة .. و لم يتوقف بكائي حتى في صوان العزاء الذي أقمنا مساء ذلك اليوم و وقفت فيه أتلقى التعازي مع أهل المرحوم ..

و في صباح اليوم التالي بدأت أدرك الأمور أكثر بعد أن أفقت من صدمة البارحة ..

بالتأكيد حزني شديد على الرجل الذي عاملني كابن له طوال تلك الفترة ..

بالتأكيد لن أنساه ما حييت ..

لكنني ــ بالتأكيد أيضًا ــ علي أن أتذكر أنني لا أمتلك أي مصدر للدخل ..

يبدو أنني عدت إلى البداية ..

مرة أخرى !

***

مسلسل البحث المحموم عن عمل عاد مرة ..

أصبحت أمضي يومي صباحًا في الجامعة و ليلاً في البحث عن عمل !!

" مالك يا عم ؟! "

نطقها " أحمد " بقلق و هو يجلس جواري على السلم المؤدي إلى مبنى المحاضرات ..

" لا مفيش .. بس الدنيا ملطشة معايا شوية اليومين دول "

" خير ؟! "

" مش عايز أقلقك معايا "

" قول بس .. "

" بقالي أكتر من أسبوعين بدور على شغل و مش لاقي "

ثم ضربت بيدي على جيبي حيث أضع المحفظة التي تصر على أن تمارس أشد أنواع الرجيم و أنا أقول :

" مش فاضل كتير ! "

" ممممممممممم "

بدت عليه علامات التفكير ..

ثم توقف قليلاً و لمعت عيناه قبل أن يقول :

" أقولك .. بكرة بعد الجامعة تيجي معايا .. و سيب الباقي عليّه "

" لا يا أحمد .. أنا مش بحكيلك عشـــــ .. "

" أوكي .. ميعادنا بكرة إن شاء الله بعد الجامعة "

" !!!!!!!!!!!!!!!!! "

كم أنا رائع لأستحق هذا الفتى !

***

٥) نهاية قصة ..

" لحظة تحول " ..

آخر مرة وردت هذه الكلمة إلى ذهني كانت في طريقي إلى القاهرة ..

و للأسف كانت لحظة تحول للأسوأ .. المهم ..

لا أدري لماذا عادت تلك الكلمة لتقفز بين ثنايـا عقلـي و تطفو على سطح وسط أفكاري ..

اللفظ الأدق هنا هي " لحظة حاسمة " ..

يجب أن أتخذ قراري هذا الأسبوع ..

إما أن أبقى هنا في العاصمة .. و أظل أجاهـد و أحـاول و أسقط ! .. كما فعلت طوال الشهرين الماضيين ..

أو أن أرفع راياتي البيـضاء جميعهـا معلنًـا استـسلامي و انهزامي..

غالبًا سوف أتخذ القرار الـــ ..

تذكرت شيئًا آخر قد يغير مجرى الأحداث ..

مقابلة العمل التي وعدني بها صديقي " أحمد " صباح الغد..

إن نجحت تلك المقابلة .. فربما أتشبث بالقرار الأول ..

ربما !

***

لم أستطع النوم في تلك الليلة ..

بقيت مستيقظًا حتى صليت الفجر ..

ثم ارتديت ملابسي و حرصت أن أبدو متأنقًا قدر المستطاع..

" يلا يا عم عشان نلحق نروح الجامعة و بعديها نشوف هنلاقيلك شغل و إلا لأ "

جاء ذلك الصوت المرتفع من أسفل نافذتي فأطللت برأسي منها سريعًا لأجد " أحمد " يقف أسفلها مبتسمًا ببلاهة بعد أن علمت المنطقة بأجمعها قصة حياتي !

نزلت إليه سريعًا ثم قفزت أحتضنه بشوق محاولا أن أهشم بعض ضلوعه و أنا أقول بصوت مرتفع ..

" حبيبي يا أحمد .. دايمًا بتحب تهزر كده " ..

ثم ضغطت على أسناني و أنا أقول بصوت منخفض ..

" حسابك معايا بعدين ! " ..

أطلق ضحكة صافية و هو يقول :

" طيب اركب بس " ..

سكت طوال الطريق إلى الجامعة و هو يقول :

" إيه الأخبار ؟! "

" تمام التمام .. منمتش امبارح ! "

" اشمعنا ؟! "

ابتلعت ريقي و تطلعت إليه دون أن أجيب .. فـصمت في تفهم .. وربت على كتفي وهو يقول :

" متقلقش كده .. خير إن شاء الله "

بعد فترة و صلنا إلى الجامعة .. فقال و هو يودعني :

" يلا .. أشوفك بعد الجامعة .. "

" فين ؟! "

" مممممم .. عندي عربيتي .. أوكي ؟! "

" أوووووكي " ...

***

مر اليوم ببطء شديد لم أتخيله ..

بالطبع لم أفهم حرف واحد من كل المحاضرات و أنا أنتظر نهاية اليوم بفارغ الصبر ..

لم تكد تنتهي حتى توجهت سريعًا إلى موقف السيارات بالجامعة ..

ربما يرى البعض أنني مبالغ في توتري .. لكن الأمر هنا مصيري .. إما أن أنجح في المقابلة أو أفشل وأعود مجرجرًا أذيال الهزيمة إلى داري !

بحثت حتى وجدت تلك السيارة الحمراء الأنيقة و " أحمد " يقف مستندًا إليها ..

" إيه يا عم .. فينك ؟! "

" كان عندي محاضرة .. معلش أخرتك .. "

" مش مشكلة .. بس يلا عشان منتأخرش "

ركبنا السيارة و أنا لا أعلم إلى أين نتجه .. فسألته :

" إحنا رايحين فين ؟! "

" نشوفلك شغل "

" يا سلاااااااااااااااااااااااااام .. ما أنا عارف .. قصدي عنـــد مين ؟! "

" ناس أعرفهم "

" أيوه .. منــــــ "

" وصلنا !! "

نظرت أمامي فوجدت أننا لا زلنا في منتصف الطريـــق لم نتوقف بعد ..

ابتلعت ريقي بصوت مسموع قبل أن أقول :

" و صلنا فين يــــا عـــ .... "

" هو كيلو البطاطس بكام دلوقتي ؟! "

" !!!!!!!!!! "

هذا الفتى غريب الأطوار بحق .. لا يستحق مرافقة مــــلاك مثلي !

***

بمنتهى السهولة استطعت أن أحصل على تلك الوظيفة ..

سكرتير في إحدى الشركات الكبرى في العاصمة ..

بمرتب يسيل له اللعاب ..

لم أعلم حقًا نفوذ " أحمد " أو والده قبل هذا الموقف ..

انتظمت في العمل و الكلية حتى انتهت امتحانات الفصل الدراسي الأول و وبدأت أتفرغ للعمل حين وقعت تلك الحادثة ..

بالمصادفة البحتة و قعت بين يدي أوراق و مستندات هامة ..

أوراق تبين جميع المعاملات الغير شرعية الخاصة بهذه الشركة ..

إذا فقد وقعت في دوامة جديدة ..

و عدت مرة أخرى أُخيّر بين عاداتي و تقاليدي القديمة ..

و بين تشبثي بهذه الفرصة التي لن تأتيني مرة أخرى ..

حصل و تغلبت الأولى هذه المرة .. فرفعت السماعة و أنا أقول محدثًا نفسي ..

" يا ولاد الإيه .. و الله لكون مبلغ عنكم !! "

قبل أن أكمل ضغط أرقام الشرطة انتصرت رغبتي في التمسك بهذا العمل و النجاح هنا على ضميري فوضعت السماعة ..

" بره ! "

التفت في جزع بعد أن سمعت صوت المدير الـــذي قابلتـــه لأول مرة مع " أحمد " ..

فقلت محاولاً تبرير موقفي :

" إحم .. هو كيلو البطاطس بكام دلوقتي ؟! "

نظر لي في تعجب للحظات كانت كافية لأرمي الملف أرضًا ثم أقف أمامه بمنتهى القوة و الحزم لأقول :

" إيه ده ؟! معقول كده ؟! أنا مستقيل !! "

انصرفت سريعًا قبل ان أسمح له بالرد و قد حفظـــت مـــاء وجهي أو ظننت أنني فعلت ..

سمعت بعض الـــــ " برطمة " العنيفة هذه المـــرة و هـــو يضرب كفًا بكف .. مع بعض الشتائم الرقيقة بـــالطبع .. لا يختلف كثيرًا مدير شركة كبرى في العاصمة .. عن كمـــسري قطار حين يفقد أحدهما أعصابه ..

إذًا .. انتهت آخر آمالي هنا ..

لن أستـــــــ ..

لكن لا ..

لا و ألف لا .. لست أنا .. لن أهزم بهذه السهولة ..

لن أعود إلى محافظتي قبل أن ....

" ترررررن ترررررررررررررررررررررررن "

كان ذلك الأخير هاتفي الذي رفعته على أذني و أنا أقول :

" أيوه يا " أحمد " .. إيه ؟! نتايج إيه ؟! آه نتيجتنا طلعت وجبتها ؟!!! طمني عملت إيه "

" مبروووووووووووك يا معلممممممممممم .. سـقطت .. هنعيد الترم مع بعض يا معلمممممممم .. عقبال كل سنة يـا معلممممممممممممم "

" !!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!! "

***

نفس المشهد الأول يتكرر ..

أجلس في ذلك القطار ..

متجهًا من مدينة لأخرى ..

أتطلع من النافذة لأراقب القضبان وهي تمر بسرعة جنونيـة بجواري ..

أريح رأسي للخلف ثم أغمض عيني لأفكر ..

الوجهة هذه المرة مختلفة .. فقد أصبحت من القاهرة (حلمي المزيف) .. إلى محافظتي ومسقط رأسي والمكان الذي قررت أنني قادر على النجاح فيه وإثبات نفسي رغم أنف الجميع ..

الشيء الثاني الذي اختلف هو أنا ..

كنت أشعر كأنما اتفق الكون بأسره على أن يقف ضدي .. ويحاربني ..

ثم أفقت من أوهامي بصفعة قوية جدًا وبدرس قاس..

أيقنت أنه لا وجود لتلك الحياة الوردية السهلة .. إلا في عالم الأحلام فقط ..

أرض الواقع قاسية .. مؤلمة .. لا ترحم .. ولا تعطي دون مقابل ..

فهمت ولأول مرة ماذا كان يعني من قال أن ما يأتي بسهولة يذهب بسهولة ..

الأمر أشبه بحلبة مصارعة الثيران .. لو صدقت أنك سترتب على رأس الثور وتعامله كأنه قط أليف .. على أمل أنه لن يؤذيك فلا تلومن إلا نفسك .. قد يخدمك الحظ مرة لكنه لن يستمر للأبد ..

فقط لو اجتهدت وثابرت وصبرت ستصل إلى النجـــاح .. ووقتها سيكون لديك القدرة على التلاعب بالثور كيفما تشاء وانتزاع صيحات الإعجاب والتصفيق أيضًا لو أردت ..

تعلمت أن هذه الدنيا ثور شديد البأس حقًا .. ودفعت ثمن هذا الدرس بالعديد من الركلات والنطحات منها ..

تعلمت أن أقف بعد كل سقطة .. أنفض الغبـــار عـــني .. وابتسم في سخرية ..

تعلمت أن هذه الدنيا ملولة حقًا .. مهما بدا أنها صابرة لا تكل ولا تمل من محاولة إحباطي وإقناعي كم أنـــا فاشـــل .. ستستسلم في النهاية لتلعن قناعتها بقدرتي على النجاح ..

وهذا ما عقدت العزم على فعله ..

ليس في القاهرة .. ولـــيس في العاصـــمة .. ولا في أرض الأحلام المزيفة .. بل في محافظتي ..

سألاعب الدنيا على ملعبي هذه المرة .. وعلى أرضي ..

أنا قادر على النجاح في حياتي ..

أنا وحدي من يقرر ذلك !

***

**

ـــ أجبني يا قلبي (خواطر) ـــ

بعد تفكير طويل عجز عقلي عن إيجاد الجواب .. فتوجـــه بالأسئلة إلى قلبي ..

" ما هو الحب ؟!! "

أهو أن تصبح أجمل لحظات حياتك حين ترى الـــسعادة في أعين من تحب ؟؟

أم أن تنحت بأظافرك في الصخر لو كانت النتيجة ابتسامة رضا أو ضحكة سعادة ترسمها على شفتيه لتأســـرك فتنـــسيك العالم ؟؟

أن ترمي هموم الدنيا وراءك لترتاح بين يديه أم أن تهرب من الحياة إليه ؟؟

أهو الاشتياق في غيابه .. أم اللهفة للقاءه ؟؟

يا ترى .. هو سهر الـــساعات ؟ أم أحـــلام الليـــالي ؟ أم كلمات تتساقط من قلبك عبر القلم ؟؟

" كيف أيقنت من حبك لهذا الشخص ؟!! "

حين خفق القلب لأول مرة بصوت سمعه من حولــك ؟ أم حين أقرت عيناك واعترفتا أمام عينيه ؟؟

حين شعرت بضعفك في مواجهة الحياة بدونــه أم حــين توقف قلبك عن النبض في غيابه ؟؟

أهو حين سكتت الأصوات وتكلمت المشاعر ؟ أم حــين أيقنت أنه حقيقة واقعة وليس مجرد حلم جميل ينتهي ؟؟

" من هو حبيبك ؟!! "

هو ملاك نزل من السماء إلى أحضاني ليريني جنــة الأرض ويشغل قلبي بهواه .. ويبدأ حياتي من يوم لقاءه ..

* أستطيع الآن أن أتفهم المصدر الــذي اســتوحى منــه المصرين لعبتهم الشهيرة .. " عسكر وحراميــة " .. فــالواقع يثبت بما لا يدع مجالا للشك .. أن الشعب المصري بأكلمــه يلعب هذه اللعبة يوميًا مع حكومته ومنــذ الأزل .. ولــنفس الأسباب التي تدفع سائقي الــسيارات القــادمون في الاتجــاه العكسي .. إلى إرسال الإشارات بكشافات ســيارقم دلالــة وتحذيرًا عن... وجود " لجنة " أو " كمين " على الطريــق .. حتى لتشعر أن هناك نوع من الاتفاق السري الغير مكتوب بين أفراد الشعب وبعضهم على حكومة بلده !! تحس فعلا إن قلبنا على بعض .. عجبي !!!! ..

♦ يقول لي : كل البنات أصبحوا بشعات المنظر أقــرب إلى الغوريلات .. حتى الفتاة التي أحبها أراها قبيحة ! ..
فأجيبه : و لم تحبها إذًا ؟
يقول بحكمة و بلغة الولهان معذب القلب : لا يجب أن تكــون جميلة كي أحبها .. فالحب أعمى .. وهو أسمى من المظاهر ..

أرد عليه بلغة من نفاد صبر : فعلاً .. الحب كـــذلك .. لـــو أحببتها حقًا لرأيتها أجمل من في الكون يا أحمق .. حـــتى وإن كانت تشبه وحيد القرن !!!

♦ أمقت ذلك السؤال الأنثوي الخالد : هل تحبني ؟! ..هـــل تتوقع المرأة من رجلها أن يجيب بـــ " لا " مثلا ؟!!الحب هـــو نوع من المشاعر .. تمامًا كالخوف والرهبة والاطمئنان والكـــره والفرح .. عندما تتعامل مع شخص ما فأنت تحـــدد إن كـــان يخافك أم يكرهم أم يفرح لوجودك.. لم لا تشعر إن كان يحبك أم لا ؟؟

♦ أعشق في المرأة تمسكها بأنوثتها لتكون بطبيعتـــها ذلـــك الكائن الملائكي الرقيق .. وأمقتها وبشدة حين تفقدها فتتحول لمجرد صورة ممسوخة أو مشوهة من الرجل.

♦ تنتابني حالات فريدة من الإبداع كلما قـــررت أن أبـــدأ المذاكرة .. ألف فكرة تدور في رأسي .. أجدني فجأة ضليع في السياسة والفن والرياضة والتحليلات الاجتماعية .. فكرة هذه

القصة تراودني وهي رائعة بحق ويجب أن أكتبها حالاً .. فجـــأة أكتشف موهبتي الدفينة في كتابة الشعر والنثر وربما الموشحات والرباعيات كذلك .. أستطيع أن أكتـــب أغنيـــة وألحنـــها ثم أوزعها وأسجلها .. ولا مانع من تصوير فيديو كليب لهـــا في غرفتي .. سأكتب سيناريو فيلم وثـــائقي قـــصير عـــن طـــائر الحنكلولو ثم أنزل إلى الشارع لتصويره .. أتذكر أنني أســـتطيع أن أرسم فأرى وجه مئة حورية بحر كل واحدة منهن تشاغلني كي أبدأ برسمها قبل مثيلاتها .. كل الطاقات الدفينـــة الـــتي لم يعرفها الإنسان من قبل تتفجر بداخلي الآن .. أين تذهب هذه الأفكار والرغبات حين يقتلني الملل فأجلس وحيدًا متطلعًـــا إلى سقف الغرفة لدرجة أن يتكاثر الذباب من حولي ..المهم أنـــني أمتلك هذه القدرة الآن وســـوف أبـــدع .. ســـوف أتـــألق ....ولكن فيما بعد فأنا أرغـــب بـــالنوم الآن .. إن الوقت قد تأخر بالإضافة إلى أن استذكار الدروس هذا مرهـــق بحق.. !

* جرب لذة إدخال السعادة على قلوب الآخرين مرة .. ثم حاول مقاومة العودة إليها إن استطعت ..

* سكوتي ليس علامة رضا .. سكوتي علامة استفهام .. علامة تعجب ...... أرسمها حين يفقد الكلام قيمته ويعجز عن التعبير عما بداخلي ..

* أنت تكذب لتخفي خطأك .. ثم تكذب لتخفي أنك أخفيت خطأك .. ثم تكذب لتخفي أنك قد كذبت من البداية.. وهكذا إلى أن تفقد الحذر في إحدى المرات وتنكشف إحدى كذباتك فتجر وراءها أخواتها لينكشفن واحدة تلو الأخرى .. النتيجة أنك في النهاية تقف أمام الناس كالأحمق تبتسم في حرج !!

* كان يبدو كأحد الأوغاد .. يلبس مثلهم .. يتحدث بأسلوبهم .. يصفف شعره على طريقتهم .. يتصرف كواحد منهم .. له نفس قدرتهم على استفزازك .. ونفس النظرة المستهترة .. كان أحد أولائك اللذين ما إن تراهم حتى توشك أن تذهب وتهنئه على دوره الرائع في فيلم الأب الروحي !!

* بداية العام الجديد .. أكتشف فجأة كم كنت أخرقًا أتصرف بحماقة طوال العام الماضي .. وكيف أصبحت شخصًا أفضل حالي من تلك التصرفات والأخطاء .. المشكلة أن هذا الشعور يتكرر سنويًا في نفس التوقيت !!

* يقول لها ..(أنتِ الدنيا بالنسبة لي) .. لو فكرت قليلا في معنى الكلمة لما تبسمت بهذه البلاهة !

* عندما نفقد الرضا .. نحن نهدد وجود كل ما نملكه بلا استثناء !

* بالتأكيد لا أنكر وجود الحسد .. فقط أنا أرفض أن يتم نسب كل مصيبة في الكون إليه !

* لست ناكرًا للجميل .. ولست أنسى الإحسان وأتذكر الجرح بخاطري .. لكن القبلات لا تترك أثرًا .. وحدها طعنات السكين تفعل !

* سيدي .. ذرة تعقل هي تلك التي تمنعني من أن أنـــشب أسناني في رقبتك المليئة بالتجاعيد .. احذر .. فتلك الذرة تحزم الحقائب استعدادًا للرحيل !

* كثيرًا ما أتساءل حتى تعتم علامات الاستفهام الرؤيـــة .. هل أنا حمل وديع أعيش وسط مجموعة من الذئاب .. أم أنــــني مجرد أحمق آخر ينظر إلى الأمور بهذا المنطق ؟!!

* المصائب كائنات اجتماعية حقًا .. فهي لا تتواجد وحيدة أبدًا !

* هناك ذلك النوع الأحمق من الأسئلة الذي يتفق الجميـــع على ترديده دون التفكير لو للحظة في معناه ..كأن تـــستقيظ من النوم فيسألك أحدهم " إنتا صحيت ؟! " .. أو تدخل إلى مكان ما فيسألك " إنتا جيت ؟! " .. حتى حين تخـــرج مـــن الحمام تجده يسأل في ذكاء " ها .. خلصت ؟!!!!!!!!! " ..

* حينها تراودك العديد من الإجابات .. بعضها يتوجب أن تتحمل لقب " ظريف أوي ! " لفترة لا بأس بها .. والبعض الآخر لا أستطيع كتابته هنا !!!!

* حتى أعتى الأقنعة تسقط مع الزمن لتكشف الحقيقة .. هنالك الكثير من الصدأ يكسو هذه الوجوه!

* هنالك لذة خفية تشعر بها حين تقف وحدك ضد التيار.. تخالف الجميع لتثبت شيئًا ما لهم أو لنفسك .. سمه نوع من التحدي .. أو ضرب من الحماقة .. لكن لذته لا تقاوم لا سيما إن كنت على صواب !

* أستطيع أن أتفهم تفاخر الطاووس بنفسه أو بجماله .. ولكن كيف يعقل أن أبتلع نفس التصرفات من ضبع أعور ؟!!!

* حقًا .. فاقد الشيء لا يعطيه .. لكن ربما المحروم منه هو أكثر من يشعر بقيمته .. فيكون أقدر الناس على إعطاءه !

خاتمة

حقًا كانت تجربة فريدة من نوعها !

فكرة أن يتواجد في مكان ما شخص لا أعرفه ولا يعرفني.. يشاء القدر أن يمسك بين يديه بهذا الكتـــاب .. ثم يتـــصفحه ويقرأ منه ولو الشيء اليسير .. فيستمع إلى بعض مـــن تلـــك الخواطر أو الـــ " شخابيط " التي تدور داخل عقلي .. والـــتي ربما وافقت بعضًا مما يدور داخل عقله..

ربما أُعجب بالمحتوى .. أو لعن حظه العاثر الـــذي جعلـــه يضيع بضعة دقائق من حياته على هذا الهراء ..

في الحالتين .. وأيًا كان رأيك عزيزي القارئ .. لا أرغب إلا في أن أشكرك على شرف إتاحة هذه الفرصـــة لي .. وأن أرجوك أن توصل إلي رأيك في الكتاب الماثل بين يديك الآن .. فهذا وحده ما ستتوقف عليه نية إعادة التجربة بكتاب آخـــر محاولاً إصلاح أخطاء هذا الكتاب والتي سأعرفها منك أيضًا .. أو العدول عن هذه الفكرة والعودة إلى صوابي مرة أخـــرى .. والتوقف عن الاستماع لتلك الـــ " شخابيط " ..

هشام نصر الدين

للتواصل مع الكاتب

هشام نصر الدين

Dr.Hisham.Nasr@hotmail.com

www.facebook.com/Dr.Hisham.Nasr

الجروب الرسمي للكتاب

x/X\x شخابيط **x/X\x**

الفهـــــرس

